Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (5), Issue (9) : 30 Jul 2021
P: 69 - 93
ISSN: 2522-3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (5)، العدد (9) : 30 يوليو 2021م
ص: 69 - 93

Al-Kharj during the reign of the first Saudi state (1157-1233 AH / 1744-1818 AD)

Khalid Abdullah Alsaeed
King Saud University || KSA

Abstract: This study describes the political, economic and scientific conditions of the city of Al-Kharj during the reign of the first Saudi state (1157-1233 AH / 1744-1818 AD). Firstly, on the political level, Al-Kharj is considered one of the most hostile cities in Diriyah for years, and it occurred in many wars, before it submitted. Secondly, on the economic level, Al-Kharj has two advantages that it is less likely to combine with others: the first is that it is an agricultural oasis famous for its abundance of water, fertility of its soil and good harvests, and the second is that it occupies a unique location that made it a passage for pilgrimage and trade caravans. Thirdly, on the scientific level, Al-Kharj, according to the sources and references available to us, witnessed jurisprudential diversity prior to its accession to the Saudi state, but it was not an active scientific center, and perhaps the future reveals to us secrets that we do not know and contradict our understanding.

Keywords: Al-Kharj, The First Saudi State, The Salafi Call, Al-Diriyah, Al-Ofasain.

الخرج في عهد الدولة السعودية الأولى (1157 – 1233هـ / 1744 – 1818م)

خالد عبد الله السعيد
جامعة الملك سعود || المملكة العربية السعودية

المستخلص: تتناول هذه الدراسة، بناءً على المنهج الوصفي والتحليلي معاً، بالوصف الأحوال السياسية والاقتصادية والعلمية لمدينة الخرج في ظل عهد الدولة السعودية الأولى (1157 – 1233هـ / 1744 – 1818م). أولاً، وعلى المستوى السياسي، تعتبر الخرج واحدة من أكثر المدن التي ناصبت الدرعية العداء سنيناً مديدة، وواقعتها في حروب عديدة، قبل أن تذعن وتصبح سيفاً بيد الدولة بعد أن كانت عليها. ثانياً، وعلى المستوى الاقتصادي، فقد تمتعت الخرج بميزات قلَّ أن تجتمع لغيرها: الأولى أنها واحة زراعية مشهورة بوفرة مياهها وخصوبة تربتها وطيب محصولها، والثانية أنها تحتل موقعاً فريداً جعل منها ممراً لقوافل الحج والتجارة. وأما ثالثاً وأخيراً، وعلى المستوى العلمي، فإن الخرج، وبحسب ما توفر لنا من مصادر ومراجع، قد شهدت تنوعاً فقهياً قبيل انضمامها إلى الدولة السعودية إلا أنها لم تكن مركزاً علمياً نشطاً، ولعل المستقبل يبوح لنا بأسرار نجهل كنهها وتخالف فهمنا.

الكلمات المفتاحية: الخرج، الدولة السعودية الأولى، الدعوة السلفية، الدرعية، آل عفيصان.

المقدمة:

إن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله- ﷺ- وبعد:

تتناول هذه الدراسة الوصفية تاريخ مدينة الخرج في ظل عهد الدولة السعودية الأولى (1157 – 1233هـ / 1744 – 1818م)؛ حيث تعتبر الخرج واحدة من أبرز المدن التي ناصبت الدولة السعودية العداوة عقوداً قبل أن تذعن بالطاعة وتدخل فيما دخلت فيه بقية المدن النجدية.

وتتمثل إشكالية الدراسة في وجود قصور شديد في الدراسات التاريخية التي تُعنى برصد أحوال المدن النجدية وغيرها من المدن الخاضعة لنفوذ الدولة السعودية الأولى. وتأتي الخرج ضمن تلك المدن التي لم تجد ما تستحقه من العناية والاهتمام من قبل المؤرخين، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتزيح الستار عن جزء من تاريخ الخرج السياسي والاقتصادي والعلمي في عهد الدولة السعودية الأولى. وأما فيما يتعلق بأهمية الدراسة، فإنه من المتوقع أن تسهم في تعزيز الوعي التاريخي وتكريس الحس الوطني، بالإضافة إلى أهميتها في إضاءة بعض الزوايا المعتمة من تاريخ الدولة السعودية الأولى، وهو ما سوف يرفد المكتبة العربية بمادة قد تقلّص من حجم الفجوة العلمية في هذا المجال. وتتلخص أهداف الدراسة في التعرف على الأحوال السياسية، والاقتصادية، والعلمية في مدينة الخرج خلال الفترة المذكورة.

وجمعت الدراسة بين المنهج الوصفي والمنهج التحليلي؛ حيث سيتم الاعتماد على المنهج الوصفي في جمع الأحداث ووصفها، فيما سيتم استعمال المنهج التحليلي في الربط بين تلك الأحداث وتقييمها. وأما ما يخص أهم المعوقات التي اعترضت الدراسة الحالية، فإنها تتلخص في شح المصادر التاريخية التي تناولت تلك المرحلة الزمنية من جهة، فضلاً عن تركيز تلك المصادر على الجوانب السياسية دون الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من جهة أخرى.

وعلى أي حال، فقد قُسمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة مباحث. احتوى التمهيد بعض اللمحات الجغرافية والتاريخية الخاطفة من مدينة الخرج. وأما المبحث الأول فتناول العلاقة بين الدولة السعودية الأولى ومدينة الخرج، وهذا المبحث هو أطول أجزاء البحث بسبب طول المدة النسبي وكثرة حوادثها وتقلب أحوالها. وأما المبحثان الثاني والثالث فقد سلّطا بعض الأضواء الكاشفة على الأحوال الاقتصادية والعلمية للخرج خلال المدة المذكورة، وذلك في ظل ما تيسر من المصادر والمراجع ذات الصلة.

وفي الختام نرجو من المولى القدير أن نكون قد أوفينا الموضوع بعض حقه، فإن وقع القبول له فقد وافق حسن ظني، وإلا فقد بذلت الجهد مني، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

التمهيد

عرّف إمام اللغة العربية ابن سِيْدَه الخرج بأنه: "وادٍ لا منفذ له"[(1)]، فإذا انتهى إلى منطقة متسعة عُرفت بالخرج، فالخرج بذلك يتشابه مع التنهية أي مكان انتهاء السيل"[(2)]. وأما الشيخ ابن خميس فيذهب إلى أن معنى الخرج ربما كان مأخوذاً من الخرج على زنته: أي الوادي الذي لا منفذ له، وهو ما ينطبق على منطقة الخرج، أو أنه كان مأخوذاً من الخرج على زنته أيضاً: أي الغلة مما يخرج من الأرض والضريبة[(3)]. ولقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: {أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير}[(4)]، والمعنى الوارد في الآية الكريمة يتفق مع الرأي الأخير، وبخاصة أن مدينة الخرج تعتبر منطقة زراعية خصبة ذات غلة وإنتاج، وخراجها يغطي حاجة الحرمين سابقاً[(5)].

(1) "أبو الحسن علي بن إسماعيل ت 458هـ/1066م"، *المخصص*، دار الطباعة الكبرى الأميرية، القاهرة، 1898م ج 10، ص 107.

(2) محمدين، "محمد محمود"، *أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية*، مطابع خالد للأوفست، الرياض، 1992م، ص 184.

(3) "عبد الله بن محمد"، *معجم اليمامة*، مطابع الفرزدق، الرياض، ط 2، 1980م، ج 1، ص 371.

(4) سورة المؤمنون: آية 72.

(5) ابن خميس، المرجع السابق، ج 1، ص 371.

ولقد اشتهرت الخرج فيما سلف باسم جوّ، أو جوّ الخضرمة، ثم اندرس اسم جوّ ليحل مكانه اسم الخرج. ومما هو جدير بالذكر، أن اسم الخرج قديماً كان يُقصد به الدلم، ثم اتسع مدلول اسم الخرج ليشمل المنطقة بالكامل والتي كانت يُطلق عليها جوّ[6].

وإلى جانب اسم الخرج، فقد عُرفت كذلك باسم السيح. والمقصود بالسيح أن الماء كان يفيض من العين، فيسيح على وجه الأرض، دون جهد بشري أو استعمال آلة[7].

وتعتبر الخرج جزءً من إقليم العارض، في قلب اليمامة[8]، ويحدها من الشمال الغربي مدينة الرياض، ومن الجنوب الغربي منطقة الحوطة والحريق، ومن الغرب جبال طويق، ومن الشرق إمارة المنطقة الشرقية[9].

ومنطقة الخرج هي أخصب إقليم في اليمامة، وأوسعها رقعة، وأكثرها ماءً، وأشهرها انتاجاً[10]. ولقد ورد ذكرها عند بعض البلدانيين في مصنّفاتهم. جاء عند صاحب "معجم البلدان" وصف للخرج، فقال: "واد فيه قرى من أرض اليمامة لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة من بكر بن وائل في طريق مكة من البصرة، وهو خير واد باليمامة، أرضه أرض زرع ونخل قليل"[11].

وتحوي الخرج جملة من المدن والقرى والهجر. فمن مدنها المعروفة، نذكر: السيح وهو قاعدة الخرج، والدلم، ونعجان، وهياثم، والسلمية، واليمامة، والمحمدي، وزميقة، وماوان، والعين، وضبيعة، والسهباء، والخفس[12].

وللخرج تاريخ ضارب بأطنابه في أعماق الماضي البعيد. ولا عجب أن تشهد الخرج استيطاناً بشرياً مبكراً لما أنعم الله عليها من وفرة المياه وخصوبة الأرض، فالإنسان بطبعه يميل إلى الاستقرار متى ما توفرت له أسباب العيش. ويرتبط تاريخ منطقة الخرج بالعرب البائدة، حيث سكنت قبيلتا طسم وجديس إقليم اليمامة[13]: فأما طسم فقد نزلت وادي العرض وهو جزء من الرياض اليوم، بينما سكنت جديس في جو الخضرمة[14] وهي الخرج اليوم، وكان هذا في أول القرن الخامس قبل الميلاد في أرجح الأقوال[15].

وفي الجاهلية، وفي صدر الإسلام، كانت اليمامة مستقراً لقبيلة بني حنيفة، وكانت جو الخضرمة قاعدةً لمُلك زعيمهم هوذة بن علي السحيمي[16]. ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد أكثر بني حنيفة، وانقادوا وراء

---

(6) ابن خميس، المرجع السابق، ج 1، ص 431 - 432.

(7) الحديب، "عبد الله بن ناصر"، *موجز تاريخ الخرج*، مكتبة العبيكان، الرياض، 1994م، ص 13.

(8) ابن خميس، *معجم اليمامة*، ج 1، ص 372.

(9) ملحق خاص عن الخرج، *جريدة الجزيرة*، ع. 7348، 16 جمادى الأولى 1413هـ، ص 31.

(10) ابن خميس، *معجم اليمامة*، ج 1، ص 371.

(11) الحموي، "شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت 626هـ/1229م"، *معجم البلدان*، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2012م، ج 2، ص 408.

(12) ابن خميس، *معجم اليمامة*، ج 1، ص 373.

(13) جاء عند الحموي في وصفه لليمامة: "... وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جوا والعروض، بفتح العين، وكان اسمها قديماً جوا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم...". الحموي، *معجم البلدان*، ج 5، ص 505.

(14) ذكر الشيخ حمد الجاسر: "الخضرمة هي البلدة التي قامت على أنقاضها بلدة اليمامة في الجنوب الشرقي من الخرج". الجاسر، "حمد"، *الرياض عبر أطوار التاريخ*، دار اليمامة، الرياض، ط 1، 1966م، ص 27.

(15) الجاسر، المرجع السابق، ص 32.

(16) ابن خميس، *معجم اليمامة*، ص 374.

زعيمهم مسيلمة الكذاب، فناشبهم خالد بن الوليد القتال في موقعة العقرباء، أو حديقة الموت، بالقرب من بلدة الجبيلة[17]، وقُتل مسيلمة وعاد من ارتد منهم إلى الإسلام.

وفي منتصف القرن الثالث الهجري قامت في جو الخضرمة الإمارة الأخيضرية، وهم علوية على المذهب الزيدي؛ ولقد دامت إمارتهم نحو قرنين ونصف من الزمان، ثم زالت على أيدي القرامطة حكام شرق الجزيرة[18].

وبعد انقراض الإمارة الأخيضرية أصبحت بلاد نجد بالكامل، بما فيها اليمامة، مفككة الأوصال؛ كل بلدة لها زعامتها المستقلة والمعادية في أكثر الأحيان لجارتها. وعلى ما يظهر، فقد أفضى هذا التشرذم إلى استقواء الإمارات التي قامت في الأحساء، الواقعة في الجهة الشرقية من الجزيرة العربية، مثل: العيونيين والعصفوريين والجبريين وبني خالد، حيث قامت ببسط بعض نفوذها على بلدان نجد[19]. ولعل وقوع الخرج على طريق التجارة والحج شكّلَ دافعاً رئيساً للإمارات الأحسائية لبسط نفوذها على الخرج أو على الأقل نسج علاقة ودية مع أمرائها[20].

وعلى الرغم من خضوع اليمامة عامة، والخرج خاصة، لنفوذ إمارات الإحساء، إلا أنها كانت تُحكم بشكل مباشر من قبل مشيخات محلية. وفي هذا يقول الشيخ عبد الله بن خميس: "وبعد أن زال حكم الأخيضريين عن اليمامة سادت الفوضى وشاع الاضطراب وظلت اليمامة تحت نفوذ قبلي ورئاسات ترجع إلى الحكام المجاورين في الأحساء..."[21].

وعلى ما يبدو، فإن بني حنيفة عادوا من جديد ليبسطوا نفوذهم على اليمامة في تلك القرون المتأخرة. فالرحال المغربي ابن بطوطة والذي مرَّ باليمامة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ذكر أن سكانها هم طوائف من العرب، وأكثرهم من بني حنيفة، وأميرهم آنذاك طفيل بن غانم[22]. ويعضّد الشيخ حمد الجاسر شهادة ابن بطوطة حين نصَّ على أن جل أهالي اليمامة من بني حنيفة، من بني يزيد ومزيد، والمزايدة بالذات هم الذين كانوا يسكنون الخرج ويحكمونه[23]. ويُعتقد أن حكم بني حنيفة لليمامة عامة، والخرج خاصة، في تلك المدة لا يعني أنها لم تكن خاضعة وعلى نحو غير مباشر لنفوذ إمارات الأحساء المتعاقبة كما تقدم ذكره معنا. فقد نقل ابن خلدون عن الرحالة المغربي ابن سعيد قوله: " وملكوا أيضاً أرض اليمامة من بني كلاب وكان ملوكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة بني عصفور"[24].

وعلى الرغم من شح المصادر، إلا أنه يمكن للمرء الاستنتاج بأن الخرج قد خضعت لمشيخات محلية تعود بنسبها إلى قبيلة عائذ. فابن فضل الله العمري يذكر إمارة كليب بن أبي محمد شيخ المزايدة من قبيلة عائذ من القرن

---

(17) الجبيلة: بضم الجيم وفتح الباء: من قرى العيينة، بمنطقة إمارة الرياض. الجاسر، "حمد"، *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: معجم مختصر*، منشورات دار اليمامة، الرياض، 1977م، ج 1، ص 351.

(18) ابن خميس، *معجم اليمامة*، ص 375؛ النفجان، "أيمن بن سعد"، *الإمارة الأخيضرية*، دار المؤلف للنشر، عنيزة، 2010م، ص 62 – 63، 109 – 112.

(19) العثيمين، "عبد الله الصالح"، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 18، 2019م، ج 1، ص 35.

(20) انظر: العرفج، "ناصر عبد العزيز"، *الخرج في عهد الملك عبد العزيز*، دار المفردات، الرياض، 2010م، ص 27؛ العسكر، محمد بن زيد، *الدلم: سلسلة هذه بلادنا*، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، 1997م، ص 133.

(21) ابن خميس، *معجم اليمامة*، ص 375.

(22) "محمد بن عبد الله اللواتي ت 779هـ/1377م"، *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)*، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، 2015م، ج 1، ص 250.

(23) الجاسر، *الرياض*، ص 81.

(24) "أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ/1406م"، *تاريخ ابن خلدون*، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2013م، ج 1، ص 1115.

السابع الهجري[25]. ولقد بقيت الإمارة في قبيلة عائذ قروناً، حيث خرج من وسطها عدة أسر انفردت بحكم بعض بلدان الخرج الهامة، ومن أشهرها: آل عثمان في الدلم، والبجادات في اليمامة، وآل عفيصان في السلمية[26]. وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري استطاعت الدولة السعودية الأولى، وفي عهد الإمام الثاني عبد العزيز بن محمد بن سعود (ت 1218هـ/1803م)، من أن تنهي وجود تلك الإمارات الصغيرة، وأن تبسط كلمتها على تراب الخرج بالكامل.

أولاً: الأحوال السياسية

كما تقدم معنا، فقد كانت الخرج قبيل قيام الدولة السعودية، مثل بقية بلدان نجد الأخرى، مقسمة إلى إمارات ومشيخات صغيرة، لا رابطة تربط بين شيوخها، ولا تعاون ولا تآزر، والغلبة للأقوى، وكانت الفتن متصلة، والحروب مترادفة، والأموال منهوبة، والأمن مفقود.

وعموماً، فقد كانت الخرج خاضعة لبعض الأسر المختلفة من قبيلة عائذ: آل زامل في الدلم، والبجادات في اليمامة، وآل عفيصان في السلمية. وعلاوة على ذلك، فقد كان للإمارات الأحسائية المتعاقبة سطوتها هي الأخرى على الخرج، وهذا ما تشهد به الحملات التي كان الأحسائيون يسيّرونها من حين إلى آخر، وهو ما جرت الإشارة إليه في سلفاً.

ولقد وقفت الخرج، منذ انطلاق الدعوة السلفية في الدرعية[27] وقيام الدولة السعودية، موقفاً عدائياً صريحاً، وخاضت في سبيل الحفاظ على استقلالها عدة معارك على مدار أربعة عقود من الزمان، وهو ما سنعرج عليه بشيء من التفصيل في القادم من الصفحات. ولا عجب في أن يمتنع أمراء الخرج عن قبول الدعوة السلفية والدخول تحت جناح الدولة السعودية، لأنهم بذلك سيفقدون استقلالهم ويتخلون عن مكانتهم المادية والمعنوية، وهذا ليس شأنهم وحدهم بل شأن كثير من أمراء المناطق الأخرى. وإلى جانب هذين العاملين السياسي والاقتصادي، فإن من الأمراء من لم يقبل بالدعوة لاعتقادهم ببطلانها وفساد مبادئها[28].

ومع مطلع القرن الثالث عشر الهجري أصبح أهل الخرج عوناً للدولة ووقوداً لمشروعاتها التوسعية بعد أن كانوا لعقود من الزمن خصماً لها وإلباً عليها. وكفى الخرج فخراً أنها خرّجت اثنين من أبرز قيادات الدولة السعودية الأولى وأبطالها، وهما: سليمان بن إبراهيم آل عفيصان وولده إبراهيم، اللذين كان لهما دوراً بارزاً في حشد أهل الخرج وغيرهم من البلدان من أجل توسيع رقعة الدولة السعودية في الجهات الشرقية من جزيرة العرب ونصب رايات الدعوة السلفية عليها، وهي أمور سيأتي الكلام عليها في آخر هذا المبحث.

أ- الخرج وأربعة عقود من المقاومة:

كما سلف ذكره، فقد واجهت الدرعية صعوبات جمة في تطويع الخرج ومن ثم ضمّها إلى الدولة السعودية. ومن الملاحظ أن الدرعية انتهجت في تعاملها مع الخرج أسلوب الغارات المفاجئة، ربما بقصد تدويخ أهلها وبث الرعب في قلوبهم. وأما الخرج، وعلى رأسها أمير الدلم زيد بن زامل، فلم تملك القدرة على الرد الفردي، وإنما اختارت أسلوب

(25) "شهاب الدين أحمد ت 749هـ/1384م"، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج 4، ص 159.

(26) الدريهم، الخرج، ص 91.

(27) الدرعية: بكسر الدال وإسكان الراء والعين وتشديد الياء: إمارة يتبعها عدد من القرى، وهي اليوم مدينة من المدن التابعة للعاصمة السعودية الرياض. الجاسر، *المعجم الجغرافي*، ج 1، ص 573.

(28) العثيمين، *تاريخ المملكة*، ج 1، ص 81.

الاستقواء بالتحالفات الإقليمية في مواجهاتها مع الدرعية. ويعد ضم الرياض إلى الدرعية في سنة 1187هـ/1773م أول الوهن، وذلك لأن الرياض، وبزعامة دهام بن دوّاس[29]، كانت تقف حاجزاً بين الدرعية والخرج، وبسقوط الرياض بات الطريق إلى الخرج ممهداً لانطلاق الغارات السعودية. ثم جاء مقتل زيد بن زامل بعد ضم الرياض بعشرة أعوام، لتفقد الخرج عامة، والدلم خاصة، أميراً عنيداً كان واقفاً بالمرصاد لطموحات الدولة السعودية التوسعية.

أ/1. الخرج من 1159-1179هـ /1746 -1765م:

سيسلط هذا المطلب بعض الضوء على العلاقة بين الدرعية والخرج خلال مدة حكم الإمام محمد بن سعود (ت 1179هـ/1765م) أول أئمتها وباني نهضتها. ففي سنة 1157هـ/1744م جرى الاتفاق المبارك في الدرعية بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت 1206هـ/1791م) والأمير محمد بن سعود[30]. وكان الاتفاق بينهما ينص على الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة التوحيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على نشر السنّة وقمع البدعة. ولقد كان هذا الاتفاق بمثابة حجر الزاوية الذي قامت عليه الدولة السعودية، وكان من ثمراته أن أعاد إلى جزيرة العرب وحدتها السياسية، وأبدل خوفها أمناً، وجوعها شبعاً[31].

وكاتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رؤساء البلدان المجاورة وقضاتهم وعلمائهم يدعوهم إلى القبول بالدعوة، فمنهم من قبل بها ودخل فيها، مثل: أمراء ضرما وحريملاء ومنفوحة[32] الواقعة بالقرب من الدرعية، ومنهم من اتخذه سخرياً واستهزأوا به، ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة، ومنهم من نسبة إلى السحر، وغيره من أمور[33].

ومنذ اتفاق الدرعية المشار إليه في سنة 1157هـ/1744م لم يقع أي صدام بين الدرعية والخرج حتى سنة 1165هـ/1752م. ولعل السبب وراء تأخر المواجهة بين الطرفين يعود إلى انشغال الدرعية خلال المدة المذكورة بمعاركها الكثيرة مع صاحب الرياض دهام بن دوّاس. ومهما يكن من أمر، ففي سنة 1165هـ/1752م سار مشاري بن معمر[34] في نحو أربعين رجلاً إلى الدلم، فأخذوا أغناماً لأهلها، ثم انقلبوا راجعين، فاقتفى أهل الخرج آثارهم، وكانوا

(29) دهام بن دواس بن عبد الله الشعلان، من الجلاليل، ويُظن أنه من مطير، وهو من ألد أعداء الدعوة والدولة. هاجر مع إخوته من منفوحة إلى الرياض إثر مقتل أخيهم محمد بن دوّاس أمير منفوحة. وتقلبت بدهام الأحوال في الرياض، ثم استولى على الحكم واستبد به، فقام عليه أهل الرياض، فاستنجد بصاحب الدرعية الإمام محمد بن سعود فأنجده واستوسق لدهام الحكم بعدها. ولما قامت الدعوة أظهر دهام لها العداوة، وواقع الدولة السعودية نحو سبعة وعشرين سنة، وعاهدها أربع مرات ولكنه كان في كل مرة ينكث الوعد وينقض العهد. وفي سنة 1187هـ ترك دهام الرياض بعد ان كبرت سنه وسئمت الحرب نفسه وفقد اثنين من أولاده بسببها، فدخلها الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وضمّها إلى الدرعية. انظر: أبو علية، "عبد الفتاح حسن"، *محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى*، دار المريخ، الرياض، ط 2، 1991م، ص 24 – 25.

(30) العثيمين، *تاريخ المملكة*، ج 1، ص 78.

(31) سعيد، "أمين"، *تاريخ الدولة السعودية*، دار الكاتب العربي، بيروت، 1965م، ج 1، ص 40.

(32) العثيمين، *تاريخ المملكة*، ج 1، ص 80.

(33) ابن بشر، "عثمان بن عبد الله ت 1290هـ/1871م"، *عنوان المجد في تاريخ نجد*، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط 4، 1982م، ج 1، ص 45.

(34) نصّبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب أميراً على العيينة بعد مقتل أميرها عثمان بن حمد بن معمر سنة 1163هـ وفي سنة 1173هـ عزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود عن إمارة العيينة مشاري هذا؛ لأمور قبيحة ثبتت عليه، وأُمر بهدم قصر آل معمر. انظر: ابن غنّام، "حسين بن أبي بكر ت 1225هـ/1811م"، *روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام*، تحقيق: سليمان بن صالح الخراشي، دار الثلوثية، الرياض، 2010م، ج 2، ص 686 – 688، 754.

نحو مائة رجل، ووقع القتال بينهم في عجفة الحاير، وصار القتال رمياً بالبنادق، فانهزم أهل الخرج، وقُتل منهم نحو ثلاثون رجلاً[35].

وبعد هذه الحادثة بنحو سبعة أعوام، أي في سنة 1172هـ/1759م، قدم صاحب الأحساء[36] والقطيف[37] الأمير عريعر بن دجين زعيم بني خالد إلى نجد في جمع كثيف من الرجال، واستنفر أهل سدير[38] والوشم[39]، فنزلوا على حريملاء، وحصل بينهم قتال عدة أيام، وصمد أهل حريملاء لهم، وقتلوا من عدوهم رجالاً، وأخذوا منهم أثاثاً وشيئاً من أثقالهم، ثم انصرفوا عنها والتحقوا بعريعر وكان قد انتفخ عسكره بمن اجتمع إليه من أهل الرياض والخرج. وساروا بحدهم وحديدهم إلى بلدة الجبيلة، ووقع بينهم وبين أهلها وكان معهم أهل الدرعية قتال، ولم يحصل عريعر ولا من معه على طائل، ثم تفرقت عنه تلك الأحزاب مهزومة منكسرة، وانصرف عريعر إلى بلاده خائب المسعى[40].

ولتأديبهم على وقفتهم مع صاحب الأحساء، فقد أغار الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود على الخرج في السنة التالية. وبدأ الأمير بالدلم، فدخلها ليلاً وقتل من أهلها ثمانية رجال، ونهب ما في دكاكينها من أموال. ثم غادرها إلى نعجان، فخرج إليه أهلها فهزمهم، ثم انصرف عنهم سالماً غانماً[41].

وفي سنة 1175هـ/1762م كمن الأمير عبد العزيز لأهل نعجان، فلما أضاء النهار استعجل الكمين بالظهور، واشتد بينهم القتال، وقتل أهل الدعوة من أهل نعجان سبعة رجال، وقطعوا بعض نخيلهم، وكرّوا راجعين[42].

وفي سنة 1178هـ/1764م شخص الشيعي السيد حسن بن هبة الله المكرمي، صاحب نجران[43]، في جموع عظيمة قاصداً الدرعية، وذلك بعد أن قدم عليه في نجران بعض أفراد قبيلة العجمان، يستصرخونه ويناشدونه

---

(35) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 691.

(36) الأحساء: جمع حسي، بكسر الحاء، وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابة أمسكته. والأحساء مدينة ببلاد البحرين (تشمل جزيرة أوال والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية)، معروفة مشهورة، وكان أول من عمرّها وحصّنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي. للمزيد انظر: الحموي، *معجم البلدان*، ج 1، ص 137 – 138.

(37) القطيف: من أعظم مدن البحرين. وكنت فيما مضى قرية لجذيمة عبد القيس. والقطيف مجاورة للبحر، وبينها وبين الأحساء مرحلتان. للمزيد انظر: الحموي، *معجم البلدان*، ج 4، ص 429؛ الإدريسي، "أبو عبد الله محمد بن محمد ت 559هـ"، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 386.

(38) سدير: بضم السين وفتح الدال وتسكين الياء: إقليم ذو قرى كثيرة فيها إمارات في منطقة إمارة الرياض. الجاسر، *المعجم الجغرافي*، ج 2، ص 710.

(39) الوشم: بفتح الواو وتسكين الشين: موضع باليمامة يشتمل على قرى، وأشهرها: ثرمداء وشقراء وأشيقر. الحموي، *معجم البلدان*، ج 5، ص 434.

(40) ابن بشر، *عنوان المجد*، 1: 81 -82.

(41) ابن بشر، عنوان المجد، 1: 83.

(42) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، 2: 758 – 759.

(43) نجران: مدينة من بلاد اليمن (تعتبر اليوم من المدن الواقعة في أقصى جنوب المملكة العربية السعودية)، وفيها جرت حادثة الأخدود المشهورة. انظر: الحميري، "أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت 900هـ/1495م"، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، تحقيق: محمد الحميري وإحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م، ص 573.

المروءة، بعد أن أوقع بهم الأمير عبد العزيز بن محمد في وقعة قذلة[44]، وقتل منهم خمسين رجلاً وأسر منهم نحو المائتين أسير[45]. والتقى الجمعان في الحاير، ودارت الدائرة على الأمير عبد العزيز ورجاله، فقُتل منهم نحو خمسمائة رجل وأُسر منهم عدد ليس بالقليل[46]. وعزا ابن غنّام نكبة جيش الدرعية إلى الغرور الذي تسرّب إلى نفوسهم، فقال: "وقد كان المسلمون في مسيرهم إلى الحائر، الذي نزل به ذلك العدو الجائر، والجند المارق الفاجر، يتكلمون في مسيرهم إلى العدو والذهاب، بدلائل الخيلاء والإعجاب، الذي يكون غالباً به المعاتبة والعقاب، ويصير سبباً إلى الابتلاء من رب الأرباب..."[47].

وبعد أن تم للنجراني النصر مضى من الحاير يريد الدرعية، ونصب معسكره في موضع يقال له الباطن، ووفد عليه كل من ابن دوّاس صاحب الرياض، وزيد بن زامل أمير الدلم، وفيصل بن سويط شيخ عربان الظفير، مهنئين ومحرّضين[48]. ثم أن الشيخ محمد والإمام محمد أرسلا إلى فيصل بن شهيل بن سويط ليصلح بينهم وبين النجراني، وجرى الاتفاق على أن يطلقوا سراح من عندهم من أسرى العجمان ويطلق النجراني سراح أسرى الدرعية الذين عنده، ثم ارتحل إلى وطنه[49].

وكان ابن دوّاس حين رأى صاحب نجران وقد عزم على السير إلى الدرعية بعث إلى عريعر بن دجين بالأحساء يزيّن له الحضور، فاستنفر عريعر جنوده، وحشد ونادى، فوافاه خلق كثير. ولما كان أمير الأحساء يغذ السير إلى نجد إلا وقد انثنى عزم النجراني، ورحل بقومه إلى أوطانهم[50]. وأقبل عريعر على الدرعية، وقد التحق به ابن دوّاس بمن معه من أهل الرياض وابن زامل بمن معه من أهل الخرج وأكثر أهل نجد الذين نقضوا العهد، وأحاطوا بالدرعية إحاطة السوار بالمعصم، وسلطوا عليها مدافعهم دون طائل. وبذل ابن دوّاس وصاحبه ابن زامل جهدهما في بثّ الحماس ونشر الأمل في نفوس جنود عريعر الذين داخلهم الرعب والفشل. ولما أدرك عريعر أن الدرعية باتت صعبة المنال، وأن لا أمل له من البقاء على تلك الحال، رفع حصاره، وكرَّ راجعاً إلى بلاده[51].

من خلال استعراض كافة الحوادث أعلاه في زمن الإمام محمد بن سعود، يتبين لنا أن الدولة السعودية الأولى لم تنفّذ إلا ثلاث غارات خاطفة على الخرج؛ إما بقصد استعراض قوة الدولة وإثارة الرعب في نفوس أهالي الخرج، وإما بقصد تأديبهم على مظاهرتهم لأمير الأحساء في حملته على الدرعية في سنة 1172هـ/1759م، هذا ناهيك بما تدرّه هذه الغارات على الدرعية من مكاسب مادية من أموال وأغنام. كما كشفت الحوادث الواقعة بين الدرعية والخرج في زمن الإمام محمد بن سعود عن العداوة الشديدة التي تكنها نفس أمير الدلم زيد بن زامل للدرعية، بدلالة مساندته لحملتي عريعر بن دجين وحسن بن هبة الله.

---

(44) وقعة قذلة: وسببها أن فريقاً من قبيلة العجمان أغار على قبيلة سبيع، فأخذوا فريقاً منهم، فجدَّ الأمير عبد العزيز بن محمد في طلبهم حتى أدركهم في موضع يقال له قذلة بين بلدة القويعية والنفود، فأحاط بهم وهزمهم، واستأصل ركابهم وخيلهم، فكانت هذه الهزيمة سبب مسير أهل نجران إلى نجد. انظر: ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 91.

(45) ابن بشر، المصر السابق، 1: 93.

(46) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 94.

(47) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 768.

(48) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 95.

(49) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 95.

(50) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 97.

(51) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 98.

وأما السبب في اكتفاء الدولة السعودية بتسريح العشرات من الرجال للقيام بغارات خاطفة على الخرج، فهذا مرده بحسب ظن الباحث إلى توجس قيادة الدرعية من تعريض مؤخرة جيشها لهجوم من قبل أمير الرياض ابن دوّاس، ومن ثم يصبح واقعاً بين فكي كماشة، وبخاصة أن حملتي أمير الأحساء وأمير نجران كشفتا عما يُعتقد بوجود علاقة ودية بين ابن دوّاس وابن زامل، حتى أن ابن دوّاس لما خرج بأهله وثقله من الرياض في سنة 1187هـ/1773م انحدر إلى الدلم فنزل عند صاحبها ابن زامل، ولعل في عداوتهما المشتركة للدرعية ما يكفي للجمع بينهما.

أ/2. الخرج من 1179 – 1199هـ / 1765 - 1785م:

سيتناول هذا الجزء أهم الأحداث التي وقعت خلال العشرين سنة الأولى من حكم الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بين كلا من الدرعية والخرج. فمن المعلوم أن الإمام عبد العزيز تقلّد الحكم بعد وفاة والده الإمام محمد بن سعود سنة 1179هـ/1765م. وخلال ما يقرب من الثمانية الأعوام الأولى من حكم الإمام عبد العزيز لم يقع بينه وبين أهل الخرج أي صدام. وفي سنة 1187هـ/1773م ضمّت الدولة السعودية إليها مدينة الرياض بعد أمور يطول شرحها ولا يحتمل هذا المختصر ذكرها. وكان من نتائج دخول الرياض في الطاعة أن أصبح الطريق إلى الخرج ممهداً أكثر من ذي قبل.

وبعد أن تم للدولة السعودية ضم الرياض أرسل الإمام عبد العزيز إلى زيد بن زامل يدعوه إلى الدخول في الدعوة والانضواء تحت الدولة، فلم يحفل به زيد الذي كاتب أمير نجران السيد حسن المذكور آنفاً يستجيشه، ويمنّيه بالأموال، ويهوّن عليه أمر هذه الدولة[52]، وهي الحملة التي سنأتي على ذكرها عما قليل.

ولما كانت سنة 1188هـ/1774م سار الأمير سعود بن الإمام عبد العزيز (ت 1229هـ/1814م) إلى الدلم، فأناخ عليها ليلاً، فلما أصبحوا أغار ومن معه على أهلها، واستاقوا أغنامهم، وخرج سكانها يطلبون حلالهم، فناوشهم سعود القتال، وقُتل من أهل الخرج عشرة رجال، ومن أهل الغزو اثنان[53].

وفي السنة التالية، غزا الإمام عبد العزيز بنفسه، فسار إلى الضبيعة، إحدى بلدات الخرج، فكمن لهم ليلاً، ولما بزغ الصباح، شنَّ الغارة عليهم، وأخذ أغنامهم، وقطع بعض نخلهم، وقتل من أهلها اثنى عشر رجلاً. ثم مضى إلى زميقة، إحدى القرى الواقعة جنوب الدلم، فحاصر أهلها وضيّق عليهم، وخرّب نخلها وزروعها، ثم انصرف إلى الدرعية مقر عزه وكرسي مجده[54].

وفي سنة 1189هـ /1775م مقدم السيد حسن المكرمي في جموع غفيرة من قبائل يام ومن التحق بهم من الدواسر، وذلك أن حويل الودعاني شيخ الدواسر قام مع زيد بن زامل وبذلا للنجراني الأموال حتى يحضر، وانضم إليهم أهل الخرج، وأرسل أمير الأحساء بطين بن عريعر إليهم بمال وطعام ليستعينوا بها على حرب الإمام، وما علم أولئك الذين استدعوا النجراني وأمدوه بأموالهم أنها ستكون عليهم حسرة[55].

ونزل المكرمي وجنوده الحاير، وناشبوا أهل البلدة القتال، فقُتل من أصحاب النجراني نحو أربعون رجلاً، فمال إلى مصالحتهم، وانصرف عنهم إلى ضرما. وكان الأمير سعود بن عبد العزيز قد نزل ضرما برجاله، وجاءهم العدو فعسّكر بجنوده، وحاربهم أهل ضرما حرباً شديدة، وقتلوا من الأحزاب قتلاً ذريعاً، وتفرّق بقيتهم شذر مذر[56]. ثم لم

(52) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 801.

(53) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 122 – 123.

(54) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، 2: 804 – 805.

(55) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 125.

(56) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 125 – 126.

يلبث أن مرض النجراني وثقل عليه، حتى أن رجاله كانوا يحملونه على سريره والمعركة تدور رحاها. ولما أطبقت الهزيمة على السيد حسن ومن معه انصرفوا إلى بلادهم، وفيما هم في طريقهم إلى نجران هلك صاحبهم[57].

وفي سنة 1189هـ/1775م أيضاً، قدم زيد بن زامل في جمع من وجهاء الخرج إلى الدرعية من دون إشعار، فلم يشعر الشيخ محمد والإمام عبد العزيز إلا وابن زامل وأصحابه عندهم، فبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. وفرض عليهم الإمام سلاحاً وخيلاً، فاجتهدوا في جمع ما طُلب منهم وأرسلوه إلى الدرعية، فأخذ الإمام بعضه، وردَّ بعضه إليهم ترغيباً لهم وتأليفاً لقلوبهم[58].

وأغلب الظن أن الدعوة السلفية لم تتمكن من قلب ابن زامل؛ ولكنه حين رأى كافة الحملات وقد تحطمت على أسوار الدرعية، وأن أتباعها كل يوم في ازدياد، انضوى تحت لوائها مضطراً من دون اقتناع. ففي سنة 1190هـ/1776م أقدم زيد بن زامل على قتل فواز بن محمد[59]، وهو من أهل الحوطة[60] ومن أقطاب الدعوة، وكان فواز قد سأل زيداً أن يعمل بشرع الله، فاشتط زيد ونفخ الشيطان في أوداجه فقتله. ولما علم الإمام عبد العزيز بمقتل فواز نهض إلى حرب زيد بن زامل، وحاصره، فهرب ابن زامل على ظهر جواده مع ولده وبعض خواصه. ودخل الإمام الدلم، وأمنَّ الناس، فبايعوه، واستعمل عليهم سليمان[61] بن عفيصان[62].

وآثر حسن البجادي – صاحب بلدة اليمامة في الخرج – السلامة، فجاء في وفد من قومه إلى الدرعية مظهراً السمع والطاعة، فأُرسل معهم الشيخ حمد العريني ليفقههم في الدين. ثم أن العريني وصاحبه له يقال له ابن داعج احسا أن البجادي وقوم عنده يدبرون أمراً بليل، فانسلا إلى الدرعية وأطلعا الإمام عبد العزيز على نية البجادي، فجهزَّ ولده الأمير سعود ليغزوهم. وقدم سعود بلدة السلمية من الخرج، ورتّب فيها مرابطة، وكاتب البجادي يدعوه إلى صيانة العهد ونفي من عنده من أهل الشر، فوعده بأن يخرجهم من عنده إن هو سعود رحل عنهم. ولما انصرف سعود إلى الدرعية خرج القوم الذين عنده يريدون الفتك بأتباع الدعوة في السلمية، فانهزم أعوان البجادي، وارتدوا على أعقابهم خاسرين[63].

ونكث أهل الدلم العهد، واستدعوا أميرهم السابق ابن زامل، ودخل الدلم بعض من أهل اليمامة، فلاحقوا من فيها من أهل الدعوة، وقتلوا منهم نحو عشرين رجلاً، وفرَّ سليمان بن عفيصان ومن بقي معه بحياتهم. ثم إن زيد بن زامل لما تحقق له خلو الدلم من ابن عفيصان وأصحابه دخلها[64].

وقبل أن تنقضي السنة المذكورة، غزى الإمام عبد العزيز عربان آل مرة في الخرج، وكانوا قد أعانوا زيد بن زامل على الرجوع إلى الدلم، فصارت الهزيمة على الإمام ومن معه، وألجأهم البدو إلى عقبة وعرة تُدعى مخيريق

(57) ابن غنّام، روضة الأفكار، ج 2، ص 808.

(58) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 127.

(59) ورد عند ابن بشر في تاريخه أن اسمه هو فوزان بن محمد. انظر: ج 1، ص 128.

(60) الحوطة: بفتح الحاء وتسكين الواو وفتح الطاء: يقال لها حوطة بني تميم، بلدة فيها إمارة يتبعها عدد من القرى، وهي من إمارات منطقة الرياض. الجاسر، *المعجم الجغرافي*، ج 1، ص 493.

(61) ورد عند ابن بشر في تاريخه أن اسمه هو إبراهيم بن عفيصان، والصواب هو سليمان بن عفيصان. انظر: ج 1، ص 128.

(62) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 812.

(63) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 129.

(64) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 129 – 130.

الصفا، وقُتل من جند الإمام عبد العزيز نحو خمسون رجلاً[65] وعلى رأسهم أمير القصيم وأحد رجالات الدولة السعودية المشهورين عبد الله بن حسن[66].

وأغار الإمام عبد العزيز في سنة 1191هـ/1777م[67] على الدلم، وأميرها ابن زامل عند البجادي في اليمامة، فبلغ ابن زامل الخبر، فاستنجد بالبجادي، فسارا معاً إلى الدلم، وحصل قتال شديد، وقُتل من جنود الإمام نحو عشرون رجلاً، فارتحل الإمام عبد العزيز، وقصد بلدة نعجان، وقطع نخيلهم وأتلف زروعهم وقتل رجالاً منهم[68].

وفي سنة 1195هـ/1781م قدم الأمير سعود إلى الدلم، فضيّق عليها الحصار، وأقام على ذلك أيام، يخرّب في بلادهم ويقطع نخيلهم وأشجارهم، وقتل بعض رجالهم. ثم بنى قصراً بالقرب من الدلم عُرف بقصر البدع، ورتّب فيه رجالاً، ثم رجع قافلاً إلى الدرعية[69]. وصار هذا القصر ومن فيه من الرجال على أهل الخرج وبال، وكان أصحابه يغيرون على أهل البلد في غالب الأيام والليالي، ويقعدون لهم المراصد، ويأخذون كل قادم وقاصد[70]. وضجَّ أهل الخرج بالقصر ومن فيه، وأصبحوا وأمسوا في خوف منه، حتى ضاق عليهم المقام في بلادهم. وفيما هم على تلك الحال من الحيرة والاضطراب، مرَّ بهم رجل فوجدهم في ضيق من أمرهم، فأشار عليهم أن يصنعوا صندوقاً كبيراً على أن تُوضع له عجلات ويُشحن بالرجال حتى إذا بلغوا سور القصر خرجوا منه واقتحموه، ولكن حيلتهم باءت بالفشل[71]. واستدعى أهل الخرج أمير الأحساء سعدون بن عريعر الخالدي، فهبَّ إلى نجدتهم، وقدم بعساكره ومدافعه، وواقع أهل القصر فلم يحصد غير خيبة الأمل، فظعن إلى بلاده بعد أن ذاق الفشل، وترك مدافعه وراء ظهره، فاستولى عليها أهل الدعوة[72].

وفي سنة 1197هـ/1782م، وحين كان زيد بن زامل راجعاً من الغزو على عربان سبيع، في نحو مائتين[73] من قومه، بلغ الخبر سليمان بن عفيصان وكان غازياً في نحو ثلاثين مطية. فلحق به ابن عفيصان، وجرى بين الفريقين رمي بالبنادق. ويشاء الله أن تثور رصاصة من عند قوم ابن عفيصان، فتصيب ابن زامل وهو على مطيته، فخرَّ إلى الأرض صريعاً، وقُتل معه نحو عشرة من رجاله، واستنقذ ابن عفيصان أبل سبيع وردّها إليهم[74].

ولما كانت سنة 1199هـ/1785م وثب بنو عم براك بن زيد بن زامل، الذي صار أميراً على الدلم بعد مقتل أبيه زيد، فقتلوه، ظناً أنهم بذلك ينالون الرئاسة، فخاب مسعاهم، وطردهم أهل البلد لأنهم كانوا ذوي بغي وفساد. ولما نفاهم أهل الدلم ساروا إلى الدرعية، فمكثوا فيها مدة، ثم هربوا منها إلى الأحساء[75].

وارجفت الدلم بعد مقتل براك بن زيد، فجلس تركي مكان أخيه، لكنه لم يهنأ بالإمارة إلا مديدة. ففي أواخر سنة 1199هـ/1785م انحدر الأمير سعود بجمعه إلى الدلم، فطوقها، ثم دخلها عنوة. وقتل أميرها تركي ومعه عدة

---

(65) بلغ عددهم عند ابن غنّام في تاريخه أربعون رجلاً. انظر: ج 2، ص 818.

(66) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 130.

(67) ورد خبر هذه الغزوة عند ابن غنّام في تاريخه ضمن حوادث سنة 1192هـ انظر: 2: 822 – 823.

(68) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 136.

(69) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 829 – 830.

(70) ابن غنّام، المصدر السابق، ج 2، ص 830 – 831.

(71) ابن غنّام، المصدر السابق، ج 2، ص 831 – 832.

(72) ابن غنّام، المصدر السابق، ج 2، ص 834.

(73) كان عددهم يزيد على ثلاثمائة رجل عند ابن غنّام في تاريخه. انظر: ج 2، ص 848.

(74) ابن بشر، *عنوان المجد*، 1: 152 – 153.

(75) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 852.

رجال آخرين، واستعمل عليهم سليمان بن عفيصان أميراً، ثم أذعن جميع الخرج وحوطة بني تميم والحريق[76] والأفلاج[77] وغيرهم، وأقبلوا يبايعون على دين الله ورسوله وعلى السمع والطاعة[78].

وهمَّ أهل بلدة اليمامة بنقض العهد في سنة 1201هـ/1787م، فجاء من أطلع الأمير سعود على نيتهم، فنهد إليهم. ولما علموا بقدومه عليهم خرجوا إليه بنسائهم يطلبون العفو والأمان، فألزمهم بالمسير إلى الشيخ محمد والإمام عبد العزيز، فخرجوا كأنهم يريدون الدرعية، فلما كانوا في منتصف الطريق لووا أعناق ركائبهم وقصدوا الأحساء. وحين علم الإمام بصنيعهم أمر بهدم محلتهم، واستعمل على اليمامة واحداً من أسرة الرويس، وبنى فيها حصناً ورتب فيه رجالاً[79].

وهكذا، وبعد نحو أربعة عقود من المقاومة والممانعة، انكسرت مقاومة الخرج وانضوت تحت لواء الدولة السعودية. ويُعزى صمود الخرج وامتناعها عن الدخول في الطاعة كل تلك السنين إلى أمير الدلم القوي زيد بن زامل والمعروف بعداوته المريرة للدرعية. ولعله من الجائز القول إنه لولا تلك الرصاصة التي اسقطته من على ظهر دابته لربما طال أمد المواجهة سنيناً أخرى ولتأخرت الخرج ومن ورائها من البلدان كالحوطة والحريق والأفلاج عن الالتحاق بركب الدولة السعودية. فبعد مقتل زيد اضطرب حبل الدلم، قاعدة الخرج، واعتراها الضعف؛ الأمر الذي سّهل على الأمير سعود دخولها وبسط يده عليها وقتل أميرها تركي بن زيد وضمها إلى الدرعية.

ب- الخرج من العداء إلى الولاء:

بعد أن تمكن الأمير سعود بن عبد العزيز من بسط نفوذ الدولة السعودية على الخرج في سنة 1199هـ/1785م استعمل عليهم وللمرة الثانية سليمان بن إبراهيم بن عفيصان أميراً. وكما تقدم معنا، فإن آل عفيصان، وهم من قبيلة عائذ المذكورة، كانوا أمراء بلدة السلمية. وسوف يكون لهذه الأسرة جهود ملموسة في خدمة الدولة السعودية ونصرتها، وذلك بما صدّرته من رجالات برعوا في ساحات الوغى ونجحوا في ميادين الإدارة. كما سوف يصبح لأهل الخرج سعي مشكور وأثر محمود في نشر الدعوة وخدمة الدولة. ولقد أشار المؤرخ ابن بشر في أكثر من موضع من تاريخه إلى أن سليمان بن فيصان، ومن بعده ولده إبراهيم، كانا كثيراً ما يعتمدان على أهل الخرج في غزو الجهات الشرقية من الجزيرة العربية، مما يدل على ثقة هذين الأميرين بولاء أهل الخرج وطاعتهم، فضلاً عن صدق إيمانهم وقوة بأسهم في ميادين القتال، وهو ما أثبتته الأيام وبرهنت عليه التجارب. فبعد أن كان أهل الخرج عائقاً في طريق الدعوة طوال أربعة عقود من الزمان هاهم قد أصبحوا عوناً لها وسلاحاً بيدها.

وعلى ما يظهر، فقد كرّس سليمان بن عفيصان ومن معه من المطاوعة (المعلمين) جهودهم من أجل غرس مبادئ الدعوة الإصلاحية في نفوس أهل الخرج، وعلى صرف طاقة القوم وتوظيفها في خدمة أهداف الدولة بعد أن كانت موجهة لمعارضتها والوقوف في طريقها. وما أن مرَّ نحو عامان من دخول الخرج في كنف الدولة السعودية حتى أصبح أهلها جنوداً مطيعين وللدعوة متحمسين.

---

(76) الحريق: بفتح الحاء وكسر الراء وتسكين الياء: بلدة فيها إمارة، من إمارات منطقة الرياض. الجاسر، *المعجم الجغرافي*، ج 1، ص 434.

(77) الأفلاج: بلاد واسعة تشتمل على قرى كثيرة، وأودية ذات نخل، وفيها عيون وآبار كثيرة. من إمارة منطقة الرياض. الجاسر، المرجع السابق، ج 1، ص 195.

(78) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 156.

(79) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 859 – 860.

ففي سنة 1202هـ/1788م سار سليمان بن عفيصان بأهل الخرج وغيرهم إلى قطر، فصبّح آل أبي رميح وهم في غفلة من أمرهم، فكان النصر من نصيب جنود الدعوة، وقُتل من آل أبي رميح نحو الخمسون، وولّى من بقي منهم الأدبار، وغنم سليمان ما عندهم من الغنم والسلاح والمتاع والركاب[80].

ثم سار سليمان بجنوده إلى الجشة، إحدى بلدات الأحساء، والغالب على أهلها أنهم شيعة، فصبّحهم، فلم يشعروا إلا وقد ملك سليمان ومن معه عليهم السور، فهبّوا لقتاله، ودام القتال طوال النهار، وقُتل من أهل الجشة بعض الرجال[81].

ثم مضى سليمان برجاله إلى ميناء الأحساء، المعروف بالعقير، فوافق في طريقه جيشاً ظاهراً من الأحساء يريد الغارة، وعليهم العبد الفارس والشاعر المشهور عيسى بن غفيان، فناوخهم سليمان وقتل أكثرهم وعلى رأسهم عيسى المذكور. ثم أكمل طريقه إلى العقير، فأخذ ما فيه واضرم فيه النار[82].

وفي سنة 1202هـ/1788م أيضاً، وقعت الردة في وادي الدواسر[83]، فأمر الإمام عبد العزيز عامله على الخرج سليمان أن يسير إلى حربهم، فمضى إليهم بمن عنده، فقاتلهم حتى انهزموا، فطلبوا من سليمان الأمان، وقدموا على الإمام بالدرعية، فبايعوه، وشرط عليهم ألفي ريال نكالاً، وألف بندق فدفعوها إليه[84].

وعاد سليمان بن عفيصان بجيش من أهل الخرج وغيرهم، في سنة 1206هـ/1791م، ليغزو بأمر من الإمام عبد العزيز قطر، فصادف غزواً منهم نحو خمسين مطية، فنازلهم فانهزموا، ولحقهم بجنوده، فقتلهم إلا القليل منهم، وغنم ركابهم[85].

وبعد عام من غزوه لقطر توفي سليمان بن عفيصان، وكان رحمه الله ذا جرأة وشجاعة، وكان الإمام عبد العزيز يعتمد عليه في قيادة الجيوش[86]. ولا يذكر ابن بشر الكيفية التي مات بها ابن عفيصان، غير أن هناك من يذكر أنه سقط قتيلاً في وقعة الشيط، وهو موضع شرقي ماء اللصاقة[87]، بين جيش الأمير سعود بن عبد العزيز وبني خالد، وهي وقعة عظيمة انتصر فيها سعود على سعود ومن معه[88].

حمل إبراهيم آل عفيصان الراية بعد وفاة والده سليمان، وكان خير خلف لخير سلف؛ فلقد ورث عن أبيه شجاعته وحسن قيادته وطاعته لأولي الأمر، بل أن الأبن فاق أباه ومن جاء بعده من آل عفيصان. وكانت أولى المهام التي أُسندت إلى إبراهيم بعد وفاة أبيه أن يسير إلى غزو قطر، فخرج بأهل الخرج وما يليهم من بلدان النواحي، قاصداً

---

(80) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 874.

(81) ابن غنّام، المصدر السابق، ج 2، ص 874 – 875.

(82) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 162 – 163.

(83) وادي الدواسر: وتُعرف قديماً بالعقيق: وادي واسع، فيه قرى ونخيل كثير. انظر: الجنيدل، "سعد عبد الله"، *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد وإمارات الدوادمي والقويعية والخاصرة وعفيف ووادي الدواسر وغيرها*، دار اليمامة، الرياض، 1978م، ج 3، ص 975 – 977.

(84) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 166.

(85) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 179.

(86) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 204.

(87) اللصاقة: اليوم هي هجرة يسكنها قوم من قبيلة مطير الجبلان. انظر: ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 201.

(88) الحصين، "عبد الرحمن بن عبد العزيز"، إبراهيم بن عفيصان القائد والأمير والداعية في الدولة السعودية الأولى، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1989م، ص 74.

قطر فنازل أهل بلدة الحويلة على ساحل البحر وأخذها[89]. ثم مضى إبراهيم ورجاله إلى الكويت، فأغاروا عليها وقتلوا من أهلها نحو ثلاثين رجلاً، وأخذوا أغناماً كثيرة، وأسلحة ثمينة، ثم عادوا لنجد سالمين غانمين[90].

وعاد إبراهيم بأهل الخرج ومن حولها من البلدان في العام الذي يليه، وبأمر من الإمام عبد العزيز، فأغار على بادية في قطر، ففرَّ العربان منه، فاستولى على أموالهم واستاق إبلهم، وأقبل بها وإلى الأحساء فباعها[91].

وفي سنة 1210هـ/1796م اشرأبت قلوب رؤساء الأحساء للمعصية، ونقضوا العهد الذي بينهم وبين الإمام عبد العزيز، فأمر إبراهيم بن عفيصان بالمسير إليهم، فدخل بلادهم فقتل رجالاً كثيرة، واستأمن بقيتهم، فأمّنهم، فساروا إلى ميناء العقير، وركبوا البحر قاصدين بلد الزبارة[92]. ثم سار ابن عفيصان، بأمر من الأمير سعود، إلى عمان، فنزل البريمي[93] وهي أقرب النواحي إلى الأحساء، وبنى فيها قصر الصبّارة وسكنه هو وجنوده. ولقد سرَّ أهل تلك النواحي، وأصلهم من القبائل العدنانية، بقدوم ابن عفيصان عليهم، فلم يتخلف أحد منهم في الحضور إليه والسلام عليه، وسمعوا له وأطاعوا، وقبلوا بالدعوة السلفية، ودفعوا الزكاة للإمام عبد العزيز[94].

وزحف نائب والي بغداد علي كيخيا في سنة 1213هـ/1799م في جموع عظيمة وأسلحة كثيرة إلى الأحساء، فدخلها، وانضم إليه كثير من أهلها الذين مرنوا على نقض العهود، وأحاطوا بقصر المبرز، وكان فيه رجال من أهل الدعوة، وأميرهم يومئذ سليمان بن محمد بن ماجد الناصري، فحاصرهم كيخيا شهرين، وضربوهم في كل يوم بمدافعهم وقنابلهم، إلى أن وقع فيهم الفشل وصار كيدهم إلى تباب. وأما إبراهيم بن عفيصان فقد اتخذ من قصر الهفوف ملجأ له، ومعه رجال من أهل الخرج، ولم يكن عليهم حينها حصار، ولكن علي كيخيا حاول أن يطوقهم مرات عديدة فلم يفلح. ثم أن كيخيا اضطر إلى أن يرفع الحصار ويرجع إلى العراق بعد أن نقصت عليه المؤونة، وزاد تذمر جنوده، هذا علاوة عن سماعهم باقتراب الأمير سعود إليهم في جموع عظيمة من حواضر نجد وبواديها[95].

ويكاد يكون حصار علي كيخيا لإبراهيم بن عفيصان ورجاله في قصر الهفوف هو آخر الأعمال البطولية التي قام بها إبراهيم في أواخر سني حكم الإمام عبد العزيز، إذ لا نجد له ذكر بعد ذلك فيما بقي من سنوات هذا الإمام. وعلى ما يظهر للباحث، فإن إبراهيم بن عفيصان رجع إلى الخرج لتولي إمارتها بعد أن استتبت الأمور في الأحساء.

وعلى ذكر الإمام عبد العزيز، فإنه كان شديد الاعجاب بإبراهيم بن عفيصان، ولقد نُقل عن الإمام قوله في مجلسه وهو يُعرّف بإبراهيم ويشيد بشجاعته وإخلاصه: "هذا إبراهيم بن عفيصان ولدي، وهو العمدة في الدين لا يكون بعد سعود أحد أحب إلي منه. قم يا إبراهيم سر على بركات الله تعالى إلى الأحساء، وكن أميرها وأمير القطيف

---

(89) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 209.

(90) ابن غنّام، *روضة الأفكار*، ج 2، ص 923.

(91) ابن غنّام، المصدر السابق، ج 2، ص 926.

(92) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 215.

(93) البريمي: واحة تقع إلى الشرق من إمارة أبو ظبي، ويحدها من الشرق جبال الحجار، ومن الجنوب جبال حفيت، ومن الجنوب الغربي صحراء الربع الخالي والمملكة العربية السعودية، ومن الشمال مساعيد وهي متصلة بحدود قطر. وتقع الواحة على ارتفاع 275 م عن سطح البحر. والجزء المأهول منها عبارة عن دائرة قطرها 100 كم. ومعظم الجبال التي تمتد فيها تغذيها بكميات ليست بقليلة من المياه العذبة. وتقدر المساحة المزروعة بالبريمي بحوالي 482 هيكتار، ويوجد فيه معظم أنواع الخضار وبعض الفواكه وتشغل أشجار النخيل أكثر من نصف المساحة المزروعة. انظر: عصفور، "محمود محمد"، *مشكلة واحة البريمي: دراسة في الجغرافيا السياسية*، مجلة حولية كلية البنات، ع 8، 1974م، ص 30 – 31.

(94) أبو علية، *محاضرات في تاريخ*، ص 92 – 93.

(95) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 251 – 254.

ومن توابعك وكل ما تراه صلاحاً للدين ومقوياً لأحوال المسلمين افعله، واستمد من إخوانك المسلمين ما شئت من العسكر، فأنت عيننا في ذلك القطر، وأميننا في كل عصر ما دمنا ودمت"[96].

إن رجلاً بهذا القدر الجليل من الدين والعلم والفضل، ودعك من مؤهلاته العسكرية والقيادية والإدارية، لا يمكن أن يصدق عليه ما اتهمه به صاحب "لمع الشهاب" حين كان يتحدث عن ضم القطيف، حيث قال: "فجعل يغزو [إبراهيم] أطراف القطيف، وينهب، ويقتل حتى الأطفال في المهد"[97]. وعموماً، فالكتاب المذكور على أهميته إلا أن صاحبه وقع في جملة من الأخطاء التاريخية، وأتى بعجائب وغرائب لا تقوم على دليل، هذا فضلاً عن مساعيه الدؤوبة في تشويه الدعوة والنيل من رموز الدولة. ثم أن ابن غنّام وابن بشر في كتابهما لم يذكرا اسم ابن عفيصان في معركة القطيف الواقعة في سنة 1206هـ/1792م، بل أن قائد الجيش كان الأمير سعود بن عبد العزيز. وعلاوة على ذلك، فإن ابن عفيصان وغيره من أهل الدعوة لم يُعرف عنهم قتل الأطفال لشدة حرصهم على العمل بمقتضى كتاب الله وسنّة نبيه التي تمنعهم من الإقدام على تلك الأعمال الهمجية والمنافية للتعاليم الإسلامية والجبلة الإنسانية.

وبعد أن تولى الإمام سعود بن عبد العزيز الحكم بعد أبيه قام بصرف سليمان بن محمد بن ماجد الناصري عن الأحساء، واستعمل عليها إبراهيم بن عفيصان، وكان ذلك في سنة 1219هـ/1804م. ولا شك في أن هذا القرار يعكس ذكاء الإمام سعود وحنكته، إذ أنه الإمام سعود رأى بثاقب نظره أن إبراهيم يملك خبرة كافية عن الأحساء، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من مواهب عسكرية وروح قيادية وقدرات إدارية تؤهله لأن يتولى الأحساء، تلك الإمارة الاستراتيجية والحسّاسة والغنية. وبالفعل، فقد استجاب إبراهيم لأمر إمامه، وارتحل إلى الأحساء ليخلفه في إمارة الخرج أخوه عبد الله[98]، والذي ظل محتفظاً بمنصبه أميراً على الخرج حتى سقوط الدولة السعودية الأولى في 1233هـ/1818م[99].

وعموماً، فسيرة إبراهيم الحافلة، وغيره من رجال آل عفيصان، يتعذر اختزالها في بضع صفحات؛ ولكن حسبنا ما ذكرناه للتمثيل على التحول الكبير الذي شهدته الخرج بعد قبولها الدعوة ودخولها في الدولة. وفي اعتقاد الباحث، فإن الخرج لو لم تقدم تلك الأسماء البارزة والنجوم اللامعة من آل عفيصان لجهلنا دور المدينة نفسها في رفد حروب الدولة السعودية وتوسعاتها بالعناصر البشرية. وهذا ما يُحسب للمؤرخ ابن بشر، فإنه كان إذا جاء على ذكر المعارك التي كان يتولى قيادتها سليمان بن عفيصان وولده إبراهيم فإنه كان يردف اسميهما بذكر أهل الخرج.

ثانياً: الأحوال الاقتصادية

تعد الأحوال الاقتصادية عاملاً حيوياً في أي مدينة من المدن، لما لها من انعكاسات جلية على المناشط السياسية والاجتماعية والثقافية. وإجمالاً، فقد تنوعت مظاهر الحياة الاقتصادية في نجد عامة، وفي الخرج خاصة، حيث اشتملت على الزراعة والتجارة والصناعة. ومما يؤسف له أن المصادر المعاصرة للدولة السعودية الأولى، على شحتها، لا تزودنا ولو بنزر يسير من المعلومات حول النشاط الاقتصادي في الخرج. ومهما يكن من أمر، وفي ضوء ما

(96) الريكي، "حسن بن جمال"، *لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب*، تحقيق: عبد الله الصالح العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2005م، ص 138.

(97) الريكي، المصدر السابق، ص 133.

(98) الحصين، *إبراهيم بن عفيصان*، ص 271.

(99) الحصين، المرجع السابق، ص 271.

توفر لنا من مراجع، فسوف يتناول هذا المبحث محاور النشاط الاقتصادي في الخرج، والتي تشمل كل من: الزراعة، والتجارة، والصناعة.

أ- الزراعة:

اشتهرت الخرج منذ الأزل بنماء مزروعاتها وطيب محصولاتها، وذلك بسبب خصوبة أرضها، ووفرة مياهها. وتُعزى كثرة مياه الخرج إلى اشتمالها على كثير من العيون، هذا بالإضافة إلى غزارة مياهها الجوفية لتجمع مياه السيول المنحدرة من جبال طويق فيها.

وكانت الخرج، ومازالت، تنتج من المحاصيل الزراعية ما يفيض عن حاجة ساكنيها، فيُحمل الفائض منها إلى غيرها من الأقاليم، ولهذا يقول ابن خميس في شرحه لمعنى الخرج: "... فهي منطقة زراعية ذات غلة وإنتاج، وخراجها يغطي حاجة الحرمين سابقاً"، وهو ما تقدم معنا في التمهيد لهذه الدراسة. ومما يُذكر في هذا السياق، أن ثمامة بن أثال الحنفي – رضي الله عنه – (ت 11هـ/632م)، وكان من وجوه بني حنيفة وزعماتهم، قد حبس ميرة أرض اليمامة عن أهل مكة لما أسلم، فشقَّ ذلك على قريش، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه، فكتب إليه رسول الله يأمره بإطلاق الميرة لهم، فحملها إليهم[100]. وهذا ما قام به كذلك رأس الخوارج النجدات، نجدة بن عامر الحنفي (ت 72هـ/691م) لما استولى على اليمامة وغيرها من جزيرة العرب، حيث قطع الميرة عن الحجاز بسبب خلاف بينه وبين عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه – (ت 73هـ/692م)، فكتب إليه عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – (ت 68هـ/687م): "إن ثمامة بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: إن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة، فجعلها لهم، وإنك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون"، فجعلها نجدة لهم[101]. ومما يدلك على قيمة الخرج الزراعية ومكانتها الاقتصادية ما ذكره ابن الأثير من أن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – (ت 60هـ/680م) جعل في الخضرمة من الرقيق ما عدتهم وعدة أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف لكي يستصلحوا الأرض[102].

وأما عن أنواع المحاصيل الزراعية التي تنتجها الخرج، فإن لوريمر الذي زارها في مطلع القرن العشرين الميلادي ذكر بعضاً من منتجاتها الزراعية، مثل: الحنطة، والأرز، والذرة الشامية، والبرسيم، والليمون الحامض، والليمون الحلو، والعنب، والتين، والرمان، والبطيخ. وتحدث كذلك عن النخيل، وذكر أن الدلم بها وحدها ما بين عشرة آلاف إلى خمس عشرة ألف نخلة[103]. ولا عجب في كثرة أشجار النخيل في الخرج، وذلك لأن النخيل تحتاج في زراعتها إلى مياه كثيرة وجو حار، وهو ما يتوفر في مدينة الخرج[104]. وتحدث لوريمر كذلك عن ثروتها الحيوانية، فذكر منها الجمال، والخيل، والحمير، والأغنام[105]. وعلى الرغم من أن لوريمر حضر إلى الخرج بعد سقوط الدولة

(100) الصفدي، "صلاح الدين خليل بن أيبك ت 764هـ/1363م"، *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج 11، ص 16.

(101) ابن الأثير، "عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ت 630هـ/1233م"، *الكامل في التاريخ*، تحقيق: عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م، ج 3، ص 284.

(102) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 3، ص 281.

(103) العسكر، *الدلم*، ص 137.

(104) أبو علية، "عبد الفتاح حسن"، *الدولة السعودية الثانية*، دار المريخ، الرياض، ط 4، 1991م، ص 320.

(105) العسكر، *الدلم*، ص 137.

السعودية الأولى بنحو تسعة عقود إلا أنه من المستبعد أن تختلف الأصناف التي أوردها المذكور عما كان يُزرع إبان حكم الدولة السعودية الأولى.

وأما فيما يتعلق بطرق الزراعة في الخرج فلا شك أنها طرق بدائية، إذ كانوا يستخدمون المحراث الخشبي الذي تجره الأبل، وهذه واحدة من فوائد اقتناء الأبل والعناية بها[106]. وإلى جانب ذلك، فقد استعمل المزارعون أدوات تقليدية كالمسحاة والمحش[107]. ومن الطرق المتبعة عند المزارعين في الخرج استخدام الحيوانات في نزح المياه من القابان (الآبار) لسقي مساحات كبيرة أو صغيرة حسب مقدرة المزارع وإمكانيته المالية والذاتية[108].

ب- التجارة:

ميّز عبد الله بن الصالح العثيمين بين ثلاثة أنماط من التجارة في بلاد نجد، وهو ما يسري بالضرورة على الخرج كذلك، وهي: التجارة المحلية، والإقليمية، والخارجية.

المقصود بالتجارة المحلية هو ما ينعقد داخل البلد نفسها من عمليات بيع وشراء بين التاجر والمستهلك، قد تكون بالنقد أو بالأجل، وأغلب هذه العمليات تتم بشكل مباشر، وبعضها تتم عن طريق وسيط بين الطرفين[109].

وأما التجارة الإقليمية فهي التي تتم بين حواضر نجد، أو بين الحاضرة النجدية وباديتها. إن الحاجة لمثل تلك المبادلات التجارية تنبع من حاجة كل بلد لأنواع من السلع التي لا تتوفر عندها، وإنما تتوفر عند الطرف الآخر سواء أكان حاضرة نجدية أو بادية. فربما قام تاجر من أهل الخرج بمقايضة ما لديه من تمر فائض عن الحاجة مع تاجر من بلدة الدوادمي لديه دهن أو أصواف أو شيء من هذا القبيل[110].

وأما التجارة الخارجية فهي التي كانت تتم بين أهل نجد، حاضرة وبادية، وأهل الأمصار الأخرى، في جزيرة العرب أو خارجها. إن الهدف من القيام بهذا النمط من التجارة لا يختلف عن الهدف من التجارة الإقليمية، وهو هدف يمليه تنوع الاحتياجات الإنسانية واختلاف المنتجات السلعية. وأهم ما في التجارة الخارجية من مزايا أن خيارات التاجر النجدي عامة، والخرجي خاصة، تصبح أكثر تنوعاً، إذ أن نجد لوحدها لا تنتج كل ما يحتاج إليه أو يرغب فيه التاجر أو المستهلك النجدي، ولكن يُعاب على التجارة الخارجية ما يصاحبها من مخاطر قطع الطريق ونهب القوافل، هذا فضلاً عن الضرائب التي تُفرض على التجار القادمين من نجد وغالباً ما تكون مبالغ فيها[111]. ومن المرجح جداً أن مخاطر السطو على القوافل ونهب ما فيها قد تراجع بشدة مع قيام الدولة السعودية الأولى.

ولقد اكتسبت الخرج منزلة تجارية رفيعة لوقوعها على ملتقى الطرق التجارية، حيث يتفرع الخط التجاري القادم من اليمن جنوباً عندما يصل إلى الخرج إلى فرعين: أحدهما يتجه شرقاً باتجاه المنطقة الشرقية من جزيرة العرب، والآخر يتجه نحو الشمال والشمال الغربي فيمر بالقصيم ثم يتجه إلى تيماء ودومة الجندل[112]. ويوفر الموقع التجاري المتميز للخرج مكاسب مالية جيدة، حيث تضطر القوافل التجارية إلى دفع رسوم مالية قبل أن تخرج منها.

---

(106) أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، ص 320.

(107) العرفج، *الخرج في عهد*، ص 88.

(108) الدريهم، *الخرج*، ص 143.

(109) العثيمين، *تاريخ المملكة*، ص 40.

(110) العثيمين، *تاريخ المملكة*، ص 40.

(111) العثيمين، المرجع السابق، ص 41.

(112) العرفج، *الخرج في عهد*، ص 27.

وعلاوة على ذلك، فمرور القوافل التجارية بها يتيح لأهالي الخرج بيع منتوجاتهم الزراعية وشراء ما يلزمهم، وهو ما ينعكس على الحركة التجارية بالإيجاب.

كما كانت الخرج محطة هامة تمرّ بها قوافل الحج القادمة من الأحساء وغيرها من الإمارات الخليجية، حيث ينيخون رحالهم، في موضع بالدلم يُعرف بسوق الحاج ليمتاروا فيه. وإلى جانب ما كان يتحقق للخرج من انتعاش اقتصادي خلال موسم الحج، فإن الحجاج كانوا مطالبين بتقديم إتاوة لرئيس البلد حتى يأذن لهم بالرحيل باتجاه الحجاز[113].

ولا شك أن تمتع الخرج بهذه الميزة الجغرافية جعلها مطمعاً للقوى الإقليمية. ولقد تقدم معنا أن الإمارات الإحسائية المتعاقبة حرصت على مد نفوذها على الخرج للإفادة من العوائد المالية التي تُجبى من القوافل التجارية. كما قد قامت بين الأحساء والخرج مبادلات تجارية منذ القرن السابع الهجري، حيث كانت الخرج تزوّد الأحساء بالبرّ مقابل تزّويدها بالتمر[114]. وهذه المبادلة تثير لدى الباحث بعض التساؤل، وبخاصة أن الخرج تعد واحدة من المناطق المشهورة بجودة تمورها. وعلى الرغم من أننا لا نملك جواباً دقيقاً عن هذا السؤال، إلا أنه من المحتمل أن يكون للأحساء، بما لها من سطوة على الخرج، دوراً في صياغة هذه المعادلة التجارية، والتي تحقق مصالح الأولى على حساب الأخيرة، ومع هذا يبقى كلامنا مجرد تخمين لا يستند إلى دليل دامغ.

وأما أداة التبادل المستخدمة في صفقات البيع والشراء، فقد كان الناس يتعاملون بالمقايضة، أي مبادلة السلع بالسلع، ولكن هذا كان يتم على نطاق ضيق، وأما الشائع بين أطراف المعاملة التجارية فهو النقد. ومن أشهر العملات المستخدمة في نجد قبل قيام الدولة السعودية الأول وبعد نشأتها، هي: الأحمر، والمحمدية، والجديدة، والمِشخص[115]. فمن الأمثلة على ذلك، ما جاء في حوادث سنة 1177هـ/1763م من أن دهام بن دوّاس بايع الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود على دين الله ورسوله، وأعطاهم ألفي أحمر نكالاً[116]. وورد ضمن حوادث سنة 1189هـ/1775م أن بطين بن عريعر أعان النجراني السيد حسن بن هبة الله في غزوه للدرعية بنقد يزيد على ستة آلاف مشخص[117].

ج- الصناعة:

تعتبر الصناعة ضرورية لأي مجتمع، سواء كبر أو صغر حجمه، ولكن الصناعة بمفهومها الحديث لم يكن له وجود في الخرج أو غيرها من بلدان نجد[118]. إن الصناعة في نجد عامة، والخرج خاصة، في عهد الدولة السعودية الأولى وما قبله، لم تكن تتجاوز حدود الحرف المهنية الصغيرة، كالصياغة أو الحدادة أو النجارة أو الحياكة أو الخرازة وغيرها من الحرف التي تلبي احتياجات الناس الحياتية.

وكان الناس في عمومهم يستنكفون العمل بالصناعة ويتحرجون منها ويعيبون على من يعمل بها. فالاشتغال بالزراعة أو التجارة أو حتى برعي المواشي أشرف للإنسان عندهم من الاشتغال بالصناعة، ربما لأنهم ينظرون إلى

---

(113) العسكر، *الدلم*، ص 133.

(114) أبو الفداء، "عماد الدين إسماعيل بن محمد ت 732هـ/1331م"، *تقويم البلدان*، تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1815م، ص 99.

(115) العثيمين، *تاريخ المملكة*، ص 41.

(116) ابن بشر، *عنوان المجد*، ج 1، ص 91.

(117) ابن بشر، المصدر السابق، ج 1، ص 125.

(118) العرفج، *الخرج في عهد*، ص 98.

الحرفي وكأنه يعمل لدى الغير وهذا ما لا تستسيغه أنفسهم وتقبله كرامتهم، ولهذا كان أكثر من يمتهن الأعمال الحرفية هم من الأجانب الذين لا ينتمون إلى جزيرة العرب[119]، أو من العبيد، أو الموالي.

إن هذه النظرة الدونية للصناعة ولمن يعمل بها قديمة للغاية؛ ولهذا كانت العرب تنظر إلى قبيلة باهلة، والتي كانت تسكن اليمامة، بقليل من الاحترام وبكثير من الازدراء، ربما لأن أغلب أفراد القبيلة كانوا يعملون في التعدين والنشاطات الصناعية[120]، حتى أنهم نسجوا من ذلك أشعار وأخبار في الحط على باهلة وذمها، ومن ذلك قول أحدهم:

ولو قيل للكلب يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب[121]

ولقي أعرابي آخر، فقال: ممن أنت؟ قال من باهلة فرثى له، فقال: أزيدك: إني لست من أنفسهم، بل من مواليهم، فأخذ الأعرابي يقبل يديه ويقول: ما ابتلاك الله بهذه الرزية إلا وأنت من أهل الجنة[122].

ثالثاً: الأحوال العلمية

عاشت نجد قبل قيام الدولة السعودية أحوالاً صعبة وأوضاعاً قاسية، وذلك بسبب جشوبة العيش وسيادة الخوف. وفي ظل ظروف كهذه يصبح السعي وراء تأمين لقمة العيش والحصول على أسباب الأمن أولوية عند الناس لا يصرفهم عنها صارف. وعندما يصبح الإنسان مهموماً بإشباع احتياجاته الأساسية التي تتيح له البقاء على قيد الحياة فإنه سيكون في شغل شاغل عن تحصيل العلم واكتساب المعرفة؛ ولعل هذا ما يفسر لماذا كانت الأمية فاشية وأعداد المتعلمين قليلة في حواضر نجد وبواديها.

ولا يعني ما سبق بيانه أن نجد كانت عارية تماماً من العلم وخاوية من العلماء؛ فعدد العلماء النجديين في القرن الحادي عشر يقرب من ضعف عددهم في القرن الذي سبقه، وعددهم في النصف الأول من القرن الثاني عشر يكاد يساوي عددهم في القرن الحادي عشر بأكمله، وهذا مؤشر على نمو الحركة العلمية[123].

وكانت العلوم النقلية، لا العقلية، هي مناط تركيز علماء نجد ومحط عنايتهم. والمقصود بالعلوم النقلية هنا العلوم الشرعية وبعض العلوم اللغوية والاجتماعية[124]. ومن الملاحظ أن علماء نجد أولوا علم الفقه فائق اهتمامهم، وذلك لأن من يتقن الفقه عندهم فإنه يصبح مؤهلاً لشغل منصب القضاء[125].

أ- الحالة المذهبية:

وكان المذهب الحنبلي هو الغالب على جمهور العلماء في نجد، وقليل منهم من كان على غيره، وربما يُعزى انتشار هذا المذهب إلى خلوه النسبي من التعقيد، وتمسكه بظواهر النصوص الشرعية، وهذا ما ينسجم مع نفسية النجدي الذي تتأفف من التكلف والتعقيد[126]. ويرى العلاّمة حمد الجاسر أن المذهب الحنبلي كان غالباً على علماء

(119) أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، ص 323.

(120) العسكر، "عبد الله بن إبراهيم"، *تاريخ اليمامة في صدر الإسلام*، جداول، بيروت، ط 2، 2014م، ص 71.

(121) الذهبي، "أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ت 748هـ/1348م"، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان، 2004م، ج 2، ص 3090.

(122) الذهبي، المصدر السابق، ص 3090.

(123) العثيمين، *تاريخ المملكة*، ج 1، ص 48.

(124) أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، ص315.

(125) العثيمين، *تاريخ المملكة*، ج 1، ص 49.

(126) العثيمين، المرجع السابق، ج 1، ص 49.

بلدة أشيقر – أكبر مركز علمي في بلاد نجد آنذاك – ومن ثم انتقل بواسطة تلاميذهم الذين اتجه بعضهم إلى العيينة[127]، ومنها إلى بلدان أخرى من نجد لما كان للعيينة وقتها من نفوذ كبير في نجد[128]. ولا يستبعد الجاسر في أن تكون الصلات التجارية والثقافية ما بين نجد وبلاد الشام قد سهلت هي الأخرى انتقال المذهب الحنبلي إلى نجد[129].

ولا يعني انتشار المذهب الحنبلي في بلاد نجد أن بقية المذاهب الفقهية لم يكن لها وجود البتة؛ فالخرج اشتهرت بواحد من ألمع علماء نجد وأشهرهم، وهو راشد بن محمد بن خنين (ت نحو 1220هـ/1805م)، وكان على مذهب أبي حنيفة[130]. ولم يكن اعتناق ابن خنين لهذا المذهب خروجاً عن المألوف، وذلك لأن المذهب الحنفي كان هو السائد في الخرج، وهذا ما نقله الشيخ عبد الرحمن البسام في كتابه "علماء نجد" عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الذي تولى القضاء في الخرج مدة طويلة، حيث ذكر للبسام أن وثائقهم بالوصايا والأوقاف وأحكام قضاتهم كانت على المذهب الحنفي[131].

كما وجد المذهب الشافعي له موطأ قدم في الخرج، حيث امتد من مصر وبلاد الشام جنوباً باتجاه اليمن والحجاز، ومن ثم إلى الخرج، وذلك إبان عهد الدولة الأيوبية ومن بعدها الدولة المملوكية، وكان أحد أبناء أسرة العسكر قاضياً على المذهب الشافعي[132]. ولم يكن هذا المذهب حكراً على الخرج فقط، بل أن الأجزاء الجنوبية من نجد عرفته كذلك، مثل الحوطة والحريق والأفلاج[133].

ويُرجح أن سبب التنوع الفقهي في الخرج يعود إلى كونها نقطة التقاء للطرق التجارية حيث تأتيها قوافل من أماكن مختلفة كما تقدم معنا. وعلاوة على ذلك، فقد يكون لخضوع الأحساء للدولة العثمانية في منتصف القرن العاشر الهجري، ومن ثم لإمارة بني خالد فيها والتي كانت توالي العثمانيين، دور في وصول المذهب الحنفي إلى الخرج، وبخاصة أن المذهب الحنفي كان له القدح المعلى عند العثمانيين[134].

تلك كانت ملامح الخارطة المذهبية في الخرج قبل نهوض الدولة السعودية الأولى؛ ولكن ما أن أصبحت الخرج جزءً من الدولة حتى صار المذهب الحنبلي هو المذهب الوحيد المعمول به على غرار باقي المدن الخاضعة للدولة السعودية. وعلاوة على ذلك، فقد حرصت الدرعية على إرسال المعلمين إلى الخرج من أجل تصحيح عقائد الناس وتعليمهم أصول الدين القويم، وهذا ما درجت على فعله في كل مرة تقوم فيها بإلحاق بلد ما بالدولة السعودية؛ وهذا ليس بمستغرب لأن الدولة السعودية لم تكن تحمل مجرد مشروع سياسي فحسب، بل كانت تحمل في احشائها مشروعاً دينياً. وعموماً، فالمصادر التاريخية المتاحة لنا لا تسعفنا بأي معلومات عن أسماء أولئك المعلمين الذين انتدبتهم الدرعية، أو مدد إقامتهم في الخرج، أو أماكن ومواعيد دروسهم، أو صفة الجمهور الذي كان يحضر دروسهم.

---

(127) العيينة: بضم العين وفتح الياء الأولى وتسكين الياء الثانية وفتح النون: قرية ذات إمارة من إمارات الرياض، تتبعها قرى. الجاسر، *المعجم الجغرافي*، ج 2، ص 1032.

(128) الجاسر، "حمد"، *من سوانح الذكريات*، مركز حمد الجاسر، الرياض، 2006م، ج 1، ص 508.

(129) الجاسر، المرجع السابق، ج 1، ص 508 – 509.

(130) البسام، "عبد الله بن عبد الرحمن"، *علماء نجد خلال ثمانية قرون*، دار العاصمة، الرياض، ط 2، 1419هـ، ج 2، ص 183.

(131) البسام، المرجع السابق، ج 2، ص 183.

(132) المانع، "خالد"، محاضرة: *المذاهب الفقهية في نجد قبل الدعوة الإصلاحية*، موقع مركز حمد الجاسر، 15 سبتمبر، 2014م، استعرضت في 13-3-2020م http://mobile.hamadaljasser.com/index.php?route=information/headernewsarchiveve&news_id=12

(133) المانع، *المرجع السابق*.

(134) المانع، *المرجع السابق*.

ب- الأماكن التعليمية:

المقصود بالأماكن التعليمية هي تلك المؤسسات الدينية والعلمية الكائنة داخل المراكز العلمية أو المدن، مثل: المساجد، والكتاتيب، والمدارس، والأربطة، والمكتبات، وحوانيت الوراقين، ودور العلماء، وغيرها من الأماكن، حيث يتم فيها تلقي العلوم النقلية والعقلية. ومن المستبعد بمكان أن تحتضن مدينة مثل الخرج كل تلك الأماكن التعليمية أو المحاضن الثقافية، في ظل العزلة النسبية التي كانت تعيشها نجد عامة، ومحدودية انتشار العلم وقلة المتعلمين فيها، دون أن نغفل بطبيعة الحال تدهور الأحوال السياسية وتواضع الإمكانات الاقتصادية. وبناء على ما سلف، فإن أماكن التعليم في الخرج لم تكن لتخرج عن المساجد والكتاتيب، وهذا ما يسري على غيرها من بلدان نجد الأخرى.

- **المساجد:**

يحتل المسجد في الإسلام مكانة رفيعة لا يضاهيها شيء، وكفى به أنه أحب البقاع إلى الله عزَّ وجل. ولقد كانت بعض المساجد، أو الجوامع، بجانب دورها الرئيس كموضع لأداء شعائر الدين وملتقى لجماعة المسلمين، مركزاً تعليمياً ومعهداً مفتوحاً يؤمها طلاب العلم الباحثون عن انتهال المعارف واكتساب الآداب.

ويزعم الباحث أن حلقات العلم لم تكن تُعقد إلا في جامع كل بلدة من بلدات الخرج، وذلك بسبب سعة الجامع من جهة، واحتمال وقوعه في قلب البلدة حتى يتيسر للمصلين الوصول إليه دون مشقة من جهة أخرى. وكان مشايخ الدين أو القضاة هم من يتصدرون للتدريس، ولم تكن دروسهم تخرج في الأرجح عن العلوم الشرعية، مثل: علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه وعلم الأصول، وربما حظيت علوم اللغة العربية والتاريخ بشيء من الاهتمام.

- **الكتاتيب:**

الكتّاب، وأحياناً يقال المَكْتَب، وجمعها مكاتب أو كتاتيب، وهو موضع تعلم الكتابة أو المكان المخصص لتعليم المبتدأين[135]. وتعد الكتاتيب من أهم الأماكن التعليمية ليس في بلاد نجد فحسب، بل في كل بلاد الإسلام. ويعتبر الكتّاب أولى خطوات التعليم، وأولى لبنات التأسيس، وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية في وقتنا الحاضر. ولقد اعتنى أهالي الخرج بتعليم صبيانهم منذ نعومة أظافرهم، بدليل وجود كتّاب أو أكثر في كل مدينة أو قرية[136]. ولعل مما شجّع على انتشار الكتاتيب قلة تكاليفها وسذاجة تجهيزها؛ إذ أن قصارى ما يحتاج إليه المعلم (المطوع) حصيرة بسيطة وغرفة صغيرة يجلس فيها المعلم ومن حوله يتحلّق الصغار. وكان من الشائع أن يتلقى الصبيان في الكتاتيب أصول الدين العامة مثل الصلاة وحفظ القرآن الكريم، ويتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة، وربما تلقوا شيئاً من الحساب واللغة.

ج- علماء وقضاة الخرج:

لا يجد المرء في ثنايا كتب التواريخ والتراجم، على ندرتها، أي معلومات تشفي العليل وتروي الغليل حول علماء الخرج في ظل حكم الدولة السعودية الأولى. وقد يُعزى بالدرجة الأولى سبب ندرة المعلومات عن أولئك العلماء إلى أن الخرج لم تكن في الحقيقة مركزاً علمياً آهلاً بالعلماء ضاجاً بالعلم مثل بلدة أشيقر. كما أدى فرض المذهب الحنبلي بعد دخول الخرج في الطاعة إلى اندثار أي خبر عن أصحاب المذهبين الحنفي والشافعي إلا من كان قد ترك

(135) المعجم الوسيط، ط 4. "الكُتّاب".

(136) العسكر، *الدلم*، 146؛ العرفج، *الخرج في عهد*، 102.

الخرج واستقر في مكان آخر، كما حصل مع الشيخ الحنفي راشد بن خنين المذكور آنفاً. ولا يعني ما سبق أن نبرئ ساحة أهل الخرج، وبالذات المتعلمين منهم، من وزر المسؤولية، فهم أولى الناس بالتنقيب عن سير علمائهم وتوثيقها حتى لا تضيع هباءً.

وحسناً فعل الأستاذ عبد العزيز بن ناصر البرّاك الذي بذل جهداً طائلاً وأنفق وقتاً طويلاً على الرغم مما واجهه من عراقيل كثيرة في جمع ما يقدر عليه من معلومات عن قضاة الدلم من أواخر القرن الحادي عشر حتى أوائل القرن الخامس عشر الهجري. وسيكون كتاب البرّاك، على قلة تراجمه، هو مرجعنا في إنهاء هذا المبحث.

- **الشيخ راشد بن محمد بن خنين (ت نحو 1220هـ/1805م):**

هو من قبيلة عائذ، وُلد وترعرع في الخرج، وتربى على المذهب الحنفي، وتقلّد القضاء مرتين متفرقة[137]. وكان ابن خنين من المعارضين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان يرى فيها غلواً زائداً وتشدداً لا داعي له. ولما دخلت الخرج تحت الحكم السعودي فارقها ابن خنين إلى الأحساء، فاستقبله علماؤها بالحفاوة وأكرموه وعظّموه لمكانته العلمية من جهة، ولما بينهم وبين الدعوة الإصلاحية من منابذة من جهة أخرى[138].

وبقي ابن خنين في الأحساء يفيد ويستفيد، ثم رحل إلى الزبارة فحل أهلاً ونزل سهلاً عند أحد وجهائها، ثم رحل منها إلى البصرة وبغداد والحجاز، ثم عاد إلى الزبارة فمكث فيها إلى ما شاء الله له أن يمكث، ثم خرج منها إلى الأحساء فتوفي فيها نحو 1220هـ/1805م، وليس له عقب إلا من الإناث[139].

- **الشيخ محمد بن عبد الله بن سويلم العريني:**

أصل العريني من بلدان سدير، ووُلد الشيخ محمد في الدرعية، وفيها نشأ، وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن ولديه الشيخين عبد الله وحسين وغيرهم من علماء الدرعية. ولاّه الإمام عبد العزيز بن محمد قضاء الدلم وما حولها من قرى الخرج، وبمشورة شيخ الدعوة[140].

وكان إلى جانب عمله في القضاء يقوم بالتدريس وآلاف تاء والتوجيه في جامع الدلم، ولم يُعرف تاريخ وفاته[141].

- **الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني:**

كان والده من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونشأ الشيخ علي محباً للدعوة وأهلها وقرأ على علماء الدرعية وأفاد منهم، فكان من مشايخه والده، والشيخان عبد الله وحسين ولدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم[142].

ولما نهل من معين شيوخه عيّنه الإمام سعود بن عبد العزيز قاضياً على الدلم ونواحي الخرج في سنة 1219هـ/1804م، فقام بواجبه على أحسن وجه، واستمر في منصبه حتى 1232هـ/1817م في عهد الإمام عبد الله بن سعود. وإلى جانب عمله بالقضاء، فإنه كان يولي التدريس والإفتاء عنايته[143].

---

(137) البرّاك، "عبد العزيز بن ناصر"، *علماء وقضاة الدلم*، مكتبة دار الحميضي، الرياض، 1995م، ج 1، ص 11.

(138) البسام، *علماء نجد*، ج 2، ص 184.

(139) البسام، المرجع السابق، ج 2، ص 185، 189.

(140) البرّاك، *علماء وقضاة*، ج 1، ص 15.

(141) البرّاك، المرجع السابق، ج 1، ص 15.

(142) البرّاك، المرجع السابق، ج 1، ص 16.

وحين زحفت جيوش إبراهيم باشا بن محمد علي باشا إلى الدرعية دخلها الشيخ علي ليدافع عن العقيدة ويذود عن حمى الوطن. ولما استسلمت الدرعية للجيش الغازي في سنة 1233هـ/1818م بعد حروب وخطوب أخذه إبراهيم باشا فقتلة قتلة شنيعة[144].

الخاتمة:

اعتنت هذه الدراسة باستقصاء أحوال الخرج السياسية والاقتصادية والعلمية تحت حكم الدولة السعودية الأولى. وفيما يلي النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة مختصرة:

1- على المستوى السياسي، ظلت الخرج سداً منيعاً في وجه مبادئ الدعوة ومشروع الدولة مدة أربعة عقود من الزمان، ولم تُنزل الخرج راية العصيان إلا بعد فراغ الساحة من اثنين كانا من ألد أعداء الدرعية، وهما: دهام بن دوّاس أمير الرياض وزيد بن زامل أمير الدلم. وما أن بايع أهلها على دين الله ورسوله والسمع والطاعة حتى أصبحت الخرج واحدة من أكثر مدن نجد التي أمدّت الدولة السعودية بالرجال المغاوير والقادة المشاهير وذلك منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري، يشهد على ذلك ما تحقق على أيديهم من فتوحات ومنوحات في الأحساء وعمان وقطر والكويت، وهي أمور تقدم الكلام عليها.

2- وأما على المستوى الاقتصادي، فقد عرفت الخرج الزراعة والتجارة والصناعة. فبالنسبة إلى الزراعة، فإن الله قد حباها بمياه غزيرة وتربة خصيبة، جعلت منها واحة زراعية تنتج أنواعاً مختلفة من المحاصيل الطيبة، والتي وجد الفائض منها طريقه إلى الأقاليم الأخرى. وإلى جانب مزروعاتها الوفيرة، فقد حظيت الخرج بموقع جغرافي متميز، حيث كانت تربض على مفترق الطرق التجارية، وهو ما يعني أنها كانت تجني رسوماً على مرور تلك القوافل التجارية. كما كانت الخرج تنتعش اقتصادياً عندما تمر بها قوافل الحج القادمة من الجهة الشرقية لجزيرة العرب. وأما الصناعة فيها فقد كانت متخلفة شأنها شأن بقية بلدان نجد، ولم تكن الصناعة تتجاوز حدود الأعمال الحرفية الصغيرة.

3- وأما علمياً، فقد شهدت الخرج قبل قيام الدولة السعودية الأولى تنوعاً مذهبياً، ولكن هذا التنوع المذهبي لم يُترجم إلى نشاط علمي، مثل تصنيف المؤلفات أو عقد المناظرات. وبعد أن دانت الخرج بالطاعة أصبح المذهب الحنبلي هو المذهب السائد فيها لا ينافسه في ذلك منافس، وأرسلت الدرعية معلمين للخرج لتعليم الناس أمور دينهم وتصحيح مفاهيمهم. وأما المؤسسات العلمية في الخرج فلم تخرج في الأرجح عن المساجد والكتاتيب، واقتصر تركيزها على العلوم الدينية. ولا نجد في كتب التواريخ والتراجم من العلماء الذين انجبتهم الخرج سوى راشد بن خنين! وأما محمد وعلي العريني، فهما ليسا من أهل الخرج، ولكنهما شغلا منصب القضاء فيها، وكانت لهما جهوداً علمية مشكورة.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، "عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ت 630هـ/1233م": الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012م.
- ابن بشر، "عثمان بن عبد الله ت 1290هـ/1871م": عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1982م.

---

(143) البرّاك، *علماء وقضاة*، ج 1، ص 16.

(144) البرّاك، المرجع السابق، ج 1، ص 17.

- ابن بطوطة، "محمد بن عبد الله اللواتي ت 779هـ/1377م": تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، 2015م.
- ابن خلدون، "أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ/1406م": تاريخ ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2013م.
- ابن خميس، "عبد الله بن محمد": معجم اليمامة، مطابع الفرزدق، الرياض، 1980م.
- ابن سيده، "أبو الحسن علي بن إسماعيل ت 458هـ/1066م": المخصص، دار الطباعة الكبرى الأميرية، القاهرة، 1898م.
- ابن غنّام، "حسين بن أبي بكر ت 1225هـ/1811م": روضة آلاف كار وآلاف هام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، تحقيق: سليمان بن صالح الخراشي، دار الثلوثية، الرياض، 2010م.
- أبو الفداء، "عماد الدين إسماعيل بن محمد ت 732هـ/1331م": تقويم البلدان، تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1815م.
- أبو علية، "عبد الفتاح حسن": تاريخ الدولة السعودية الثانية، دار المريخ، الرياض، 1991م.
- أبو علية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، دار المريخ، الرياض، 1991م.
- البرّاك، "عبد العزيز بن ناصر": علماء وقضاة الدلم، مكتبة دار الحميضي، الرياض، 1995م.
- البسام، "عبد الله بن عبد الرحمن": علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الرياض، 1419هـ.
- الجاسر، "حمد": الرياض عبر أطوار التاريخ، دار اليمامة، الرياض، 1966م.
- الجاسر، "حمد": المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة، الرياض، 1977م.
- الجاسر، "حمد": من سوانح الذكريات، مركز حمد الجاسر، الرياض، 2006م.
- الجنيدل، "سعد عبد الله": المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد وإمارات الدوادمي والقويعية والخاصرة وعفيف ووادي الدواسر وغيرها، دار اليمامة، الرياض، 1978م.
- الحديب، "عبد الله بن ناصر": موجز تاريخ الخرج، مكتبة العبيكان، الرياض، 1994م.
- الحصين، "عبد الرحمن بن عبد العزيز": إبراهيم بن عفيصان القائد والأمير والداعية في الدولة السعودية الأولى، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1989م.
- الحموي، "شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت 626هـ/1229م": معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.
- الحميري، "أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت 900هـ/1495م": الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: محمد الحميري وإحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م.
- الدريهم، "سعد بن عبد الرحمن": الخرج. سلسلة هذه بلادنا، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، 1993م.
- الذهبي، "أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ت 748هـ/1348م": سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت آلاف كار الدولية، عمّان، 2004م.
- الريكي، "حسن بن جمال": لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: عبد الله الصالح العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2005م.
- سعيد، "أمين": تاريخ الدولة السعودية، دار الكاتب العربي، بيروت، 1965م.
- الصفدي، "صلاح الدين خليل بن أيبك ت 764هـ/1363م": الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.

- العثيمين، "عبد الله الصالح": تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض، 2019م.
- العرفج، "عبد العزيز": الخرج في عهد الملك عبد العزيز، دار المفردات، الرياض، 2010م.
- العسكر، "عبد الله إبراهيم": تاريخ اليمامة في صدر الإسلام، جداول، بيروت، 2014م.
- العسكر، "محمد بن زيد": الدلم. سلسلة هذه بلادنا، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، 1997م.
- عصفور، "محمود محمد": مشكلة واحة البريمي: دراسة في الجغرافيا السياسية، مجلة حولية كلية البنات، ع 8، 1974م.
- العمري، "ابن فضل الله شهاب الدين أحمد ت 749هـ/1384م": مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
- المانع، "خالد": محاضرة: المذاهب الفقهية في نجد قبل الدعوة الإصلاحية، موقع مركز حمد الجاسر http://mobile.hamadaljasser.com/index.php?route=information/headernewsarchiveve&news_id=12
- محمدين، "محمد محمود": أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، مطابع خالد للأوفست، الرياض، 1992م.
- النفجان، "أيمن بن سعد": الإمارة الأخيضرية، دار المؤلف للنشر، عنيزة، 2010م.